من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ولهذا كان أكثر المستجيبين ﷲ تعالى ولرسوله صلى اﷲ عليه وسلّم شبابا وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابا وقال مجاهد : بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة يعني الحلق فألهمهم اﷲ رشدهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو { وزدناهم هدى } استدل بهذه الاية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص ولهذا قال تعالى : { وزدناهم هدى } كما قال : { والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم } وقال { فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون } وقال : { ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم } إلى غير ذلك من الايات الدالة على ذلك وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فاﷲ أعلم والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلّم فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية واﷲ أعلم .

وقوله { وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض } يقول تعالى : وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فإنه ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا اﷲ الذي خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الاخر فجلس إليها عنده وجاء الاخر فجلس إليهما وجاء الاخر فجلس إليهم وجاء الاخر وجاء الاخر ولا يعرف واحد منهم

الاخر وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان .

كما جاء في الحديث الذين رواه البخاري تعليقا من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة Bها قالت : [قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف] وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم والناس يقولون : الجنسية علة الضم والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم : تعلمون وا يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره فقال آخر : أما أنا فإني وا رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو ا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وقال الاخر : وأنا وا وقع لي كذلك وقال الاخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدا واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبدا يعبدون ا فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى ا D ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله : { وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها } ولن لنفي التأبيد أي لا يقع منا هذا أبدا لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم : { لقد قلنا إذا شططا } أي باطلا وبهتانا { هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين } أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلا واضحا صحيحا { فمن أظلم ممن افترى على ا كذبا } يقولون : بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان با أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه وكان هذا من لطف ا بهم فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء في الحديث [يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن] ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار ا تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله : { وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا ا } أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير ا ففارقوهم أيضا بأبدانكم { فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته } أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم { ويهيئ لكم من أمركم } الذي أنتم فيه { مرفقا } أي أمرا ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرابا إلى الكهف فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال أنه لم يظفر بهم وعمى ا عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد صلى ا عليه وسلّم وصاحبه الصديق حين

لجآ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه وعندها قال النبي صلى ا عليه وسلّم حين رأى جزع الصديق في قوله : يا رسول ا لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال : [يا أبا بكر ما ظنك باثنين ا ثالثهما ؟] وقد قال تعالى : { إلا تنصروه فقد نصره ا إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن ا معنا فأنزل ا سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة ا هي العليا وا عزيز حكيم } فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف وقد قيل : إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا : ماكنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك وفي هذا نظر وا أعلم فإن ا تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى :